تزيين البحث المتين

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبيه الكريم وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فقد فتح الله علي قبل عام وأرشدني إلى الكتابة في موضوع جليل القدر وعظيم الأهمية وهو بحثٌ صغير في إبطال عبارة **(إسلام بلا مسلمين)**، والتي انتشرت كالنار في الهشيم بين الكثير من الناس.

ورأيت أن لها آثارًا سلبية، كما أنها باطلة في ذاتها وذلك لاعتبارات ذكرتها في تلك الرسالة التي أسميتها **(البحث المتين في إبطال عبارة إسلام بلا مسلمين)**.

http://goo.gl/cYteRD

بالإضافة إلى أن تكرار هذه العبارة هو من بواعث الهزيمة النفسية التي غزت بلاد الإسلام، وأوهنت قوى المسلمين وكانت سبباً لتسلط أعداء الله الكافرين عليهم.

رغم أن الله سبحانه وتعالى قد نهانا عن المهانة والحزن المفضي إلى قتل الأمل وترك العمل فقال جل شأنه: **((ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين))**[1].

نحن الأعلون إن كنا مؤمنين بالله ووعده الحق، ودينه الصدق.

ونحن الأعلون إن ابتغينا العزة عند مصدرها الأصيل **((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون))**[2]، **((من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعًا))**[3].

والحديث عن عزة المؤمنين، وعن خطورة الاستسلام والانهزام يطول ويستحق أن يُفرد في كتب ومجلدات، ولكن ليس هذا موضعه، إنما الحديث هنا عن خطورة عبارة إسلام بلا مسلمين، وبطلانها وكذبها.

وليس الهدف هنا هو بحث مقاصد ومنطلقات قائلي هذه العبارة، إذ قد يقصدون الخير والإحسان بها، وقد لا يكونون من أهل الانهزام والانبطاح، ولكن لقلع العبارة من جذورها، وهدم البنيان من أساسه.

وحتى لا أعيد ما قلته في البحث سابقًا، فهذه تعليقات وحواشٍ رأيت إضافتها وذلك لتثري محتوى البحث أكثر، وتزين مبناه، وتقوّي معناه.

واخترت من البحث المكتوب مواضع تستحق أن يُتَوقف عندها، ويُزاد فيها.

والله المستعان، وعليه أتوكل، وبه أستهدي.

أسأل الله أن يبارك لي فيما كتبته، ويجعله نورًا مضيئًا لنا، وباعثًا للخير.

البراء محمد

يوم الجمعة 1435/9/27هـ - 2014/7/25م

الرياض

---

[1] سورة آل عمران
[2] سورة المنافقون
[3] سورة فاطر

نحن وراثُ هداةٌ للبشر

نحن عند الحق سرٌ مدخر

لا تزال الشمس تبدي نورنا

غيمنا فيه بروقٌ وسنا

ذاتنا المرآة للحق، اعلمِ

آيةُ الحقِ وجودُ المسلمِ

الأديب المسلم محمد إقبال رحمه الله

التعليقات

الموضع الأول: ((ففي ظل الألم الذي يعصر قلوب الملايين من المسلمين لما يجري لأمتهم من الذلة والهوان، وضعف الحيلة، وتكالب الأعداء عليهم. وفي ظل الوجع الذي يعتري الآلاف من المؤمنين الصادقين، لما يرونه من تقدّم دنيوي مهول للكفرة والمشركين، وما صاحبه من كفرٍ بالله وإشراكٍ به))

***التعليق:**

التخلف الشديد الذي يعانيه المسلمون في كافة المجالات العلمية والفكرية والصناعية لا ينكره منصف، وهو واقعٌ يجب أن ندركه ابتداءً حتى نصحح مسيرنا، ونمضي في المسار الصحيح حيث يجب أن نكون.

وبعد إدراك الواقع، يكون العمل على تغييره وتبديله للأفضل والأحسن، فمجرد الإدراك لألم الواقع وسوئه ليس كافيًا لبعث الحياة في الجسد المريض، وإن كان الإدراك في جملته خيرًا من انعدامه وتبلّد الحس.

ومنطلق التغيير من الذات هو الذي يفيض رحمة الله وفضله علينا، فالله سبحانه وتعالى لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم.

الموضع الثاني: ((إن الكافر بالله مهما عمل في دنياه من الأعمال الصالحة والناجحة، فإنه لم يصل إلى غاية الله من خلقه، وهي توحيده وإفراده بالعبادة والخوف والرجاء والمحبة))

***التعليق:**

من الحقائق اليقينية القطعية وجود إلهٍ واحدٍ عادلٍ له القدرة والقوة المطلقة، ويتصف بكل صفات الكمال المطلق، وينتفي عنه كل نقيصة وخلل.

وقد فطر الله عباده على الاعتراف بوجود خالقٍ عظيم لهذا الكون الممتد، وجعل هذه الفطرة مستقرةً في داخلهم، وإن كانت وحدها لا تكفي للوصول إلى عبادة الله الحق سبحانه وتعالى[4].

يقول تعالى: **((فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون))**[5].

[4] وفي ذلك يقول الإمام جمال الدين القاسمي رحمه الله: **((لأن الشعور بوجود الله تعالى والإذعان بخالقٍ قادر فوق المادة محيط من وراء الطبيعة أمر غرزي في الإنسان مفطورٌ عليه، لا تغيره ريب المرتابين، ولا تزلزله شكوك المشككين))** [دلائل التوحيد ص23]

[5] سورة الروم آية 30

فأرسل الله أنبيائه عليهم السلام هداةً للناس إلى صراطه المستقيم، ونصب الدلائل على ذلك من معجزات حسية ومعنوية، يخضع لها العقل ويقبلها مذعنًا بما فيها.

قال تعالى: ((**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا**))، وقال جل في علاه: ((**إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم**)).

فكان نور النبوة هاديًا للناس من ظلمة الشرك[6] والإلحاد التي أحاطت حياتهم وتصوراتهم.

وكانت معجزة الله الخالدة هي قرآنه الكريم الذي أحكمت آياته، وكانت آياته وبيناته نورًا ونجمًا للمهتدين.

ومن هنا قال الله عز وجل في كتابه العظيم: ((**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**)).

فكانت غاية خلق الإنسان هي توحيد الله وإفراده بالعبادة والمحبة الكاملة وكذلك الخوف والرجاء والتوكل وغيرها.

فإذا ابتعد الإنسان عن تحقيق هذه الغاية فقد ضلّ عن طريق الحق، وزل عن اتباع منهج الصدق.

الموضع الثالث: ((ومهما ادّعى الناس أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى الإسلام، وأن أخلاقهم هي الحكم، فإنّهم يدورون حول أنفسهم وينشدون ضرباً من المثاليات الزائفة والأحلام والأوهام الخادعة. ما هي المرجعية في الأخلاق إن لم يكن للدين منها نصيبٌ أو جزء؟؟))

***التعليق:**

عندما نتحدث عن الإسلام فنحن لا نتحدث عن منهج فكري وضعي، أو مبادئ أخلاقية مجردة، بل هو حقيقة أنزلها الله إلى عباده، وفرض عليهم اتباعها، وأقام الدلائل القطعية على صحتها وبطلان ما يخالفها ويناقضها.

هو دينٌ كاملٌ يحوي الأخلاق والعبادات والمعاملات بين الناس، ولم يأتِ لبناء جانبٍ من جوانب حياة الإنسان وإغفال بقية الجوانب.

يقول الله تعالى: ((**ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء**))، فهو تبيان لكل شأن من شؤون حياة الإنسان.

وقد وعى الجيل الأول الطيّب من الصحابة هذه الحقيقة جيدًا فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((**أُنزل في هذا القرآن كل علمٍ وكل شيء قد بُيِّن لنا في القرآن**))[7].

وإذا آمنا يقينًا بأن هذا الدين العظيم هو من الله العزيز الحكيم، فإننا سنؤمن لزامًا بأن شريعته حقٌ مطلق، من خالفه فقد سلك طرق الغواية والضلالة.

[6] أبطل الله تعدد الآلهة في قوله تعالى: ((**ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون**)). وأبطل تعالى حجة الملحدين بقوله: ((**أم خُلقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون**)).
[7] رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن عطية.

وإيماننا القوي بصفات الله وأسمائه الحسنى سينعكس إيجابًا على إيماننا وتمسكنا بشرائعه وأحكامه.

فالله سبحانه له الحكمة البالغة، والعلم المطلق الذي لا يلحقه جهلٌ أو نسيان. **((وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيمٍ عليم))**[8].

وأما الإنسان فهو مخلوقٌ ضعيف[9] تعتريه كل آفات النقص والجهل والظلم، ومهما سما بعقله وحلّق فوق السماء، فإن له شهواتٍ تضطرب داخل نفسه، وما لم يضبطها ويقيّدها، فإنها ستدمره وتهلكه.

وما لم يُقيّد الإنسان شريعةٌ سماوية خالدة كالإسلام، فإن بقية القيود التي تقيده، لن تفلح في ردعه عن الإسراف والإغراق في شهواته وملذاته ولو على حساب الحق.

فلو انفلت قيد القانون أو انحل، أو تغيرت بيئة الإنسان ومجتمعه، أو غُسل دماغه وأفكاره، فإن قابلية الإنسان للانحراف والإفساد تكون أكبر وأعمق.

يحدث أحيانًا أن تجد المرء يسرق وينهب من محل تجاري، وذلك بسبب ضعف الحماية فيه، وكذلك ابتعاد سلطة القانون عنه، مع أنه لم يدر بخلده يومًا أن يسرق أو يفسد، ولكن السرقة عنده مرتبطة أصلاً بوجود الرادع القانوني، وبزواله تزول خطيئة السرقة.

ما علاقة الإيمان بالله واليوم الآخر بتصرفات الناس؟

هذا ما سأجيب عنه في تعليقٍ قادم..

الموضع الرابع: ((وهكذا كانت الأقوام السابقة الهالكة، وكذا فُعل بأصحاب الأخدود من الملك الظالم الكافر، وعلى هذا دأب فرعون وجنوده، وأبو جهلٍ وأبو لهب، والفرس، والروم والصليبيين واليهود إلى يومنا هذا))

***التعليق:**

هنا يتحدث المؤلف عن أبرز موقف للكافرين تجاه المسلمين وهو اتخاذ موقف العداوة والحرب ضدهم، ثم بعدها تحدث عن موقفي الحيرة وكذلك الموالاة والنصرة.

والكافرون يحاربون المسلمين الموحدين ودينهم، لأن دين الإسلام يضبط شهوات المرء وينظّمها، عكس ما يريده الجاهليون والظلاميون، من انفلات وتسيب واضح وإطلاق العنان لشهواتهم الكامنة.

---

[8] سورة النمل آية 6، وقد ورد ذكر الحكمة والعلم مقترنين في مواضع كثيرة من كتاب الله.
[9] يقول الله تعالى: **((وخلق الإنسان ضعيفًا))**.

ففي حين يشير القرآن إلى حقيقة الشهوات وأنها زائلة ويصفها بالمتاع حيث قال الله: **((زُيِّن للناس حُب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب))**[10].

يقف أهل الكفر في الجانب المقابل، حيث يتمسكون بشهواتهم حتى الرمق الأخير، والسر في تمسكهم بها هو رفضهم وكفرهم بالدار الآخرة، والبعث بعد الموت، ومنطقهم في ذلك العبارة التي تلخص نظرتهم المادية للحياة **((أرحام تُدفع وأرضٌ تبلع))**[11].

وقد أخطأ المؤلف هنا عندما قال: **((والروم والصليبين واليهود))**، وكان الواجب عليه أن يقول: **(والصليبيون)** لأن الكلمة معطوفة على ما قبلها وهو الفاعل المسبوق بفعلٍ ماضٍ **(دأبَ فرعون وجنوده، وأبو جهلٍ....إلخ)**.

الموضع الخامس: ((وحتى ولو أحسن الكافر طيلة عمره ولم يعبد الله أبداً، فإن إحسانه يُجزاه في الحياة الدنيا، ولن يُجزاه في الأخرى لأنه لم يجعل عبوديته وذلته لله وحده))

***التعليق:**

إن الدنيا مزرعة الآخرة، وهي محل الاختبار والتكليف، فمن انشغل عن اختباره وتكليفه بواجباتٍ أخرى أو أعمال لا علاقة لها بتكليفه، فإن فشله في الاختبار عائدٌ إليه بالدرجة الأولى، ومتسببٌ فيه بإهماله وتقصيره.

ومن عدل الله أنه يعطي العاملين على قدر أعمالهم وسعيهم، وقد يمنعهم لحكمةٍ بالغة، فلو أُوتي المرء كل شهواته ورغباته في الحياة الدنيا، لبطلت قيمة الابتلاء التي تتميز به الحياة الدنيا.

ولو أعطى الله كل إنسان ما تمناه في الدنيا عاجلاً، لفسدت الأرض ولتعذَّرت المعيشة، ولتسلط الناس بعضهم على بعض وبغوا أكثر وأكثر[12].

يقول الله تعالى: **((ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدرٍ ما يشاء إنه بعباده خبيرٌ بصير))**[سورة الشورى آية 27].

فالله لم يخلق الحياة الدنيا نعيمًا مقيمًا، بل جعل فيها من الابتلاءات والمصائب التي تتخلل حياة الإنسان، فيسير طوال حياته ما بين نعمةٍ ونقمة، ومنحة ومحنة حتى يأتي أمر الله.

قال الله تعالى: **((لقد خلقنا الإنسان في كبد))**، والكبد هنا تعني الشدة والمشقة كما فسرها جمعٌ من المفسرين[13].

---

[10] سورة آل عمران

[11] قال الله تعالى عنهم حاكيًا: **((وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين))**.

[12] إن أحلام الإنسان وطموحاته ورغباته لا محدودةٌ كمًا وكيفًا، وهذه الحياة الدنيا ومواردها محدودةٌ كمًا وكيفًا، وإن الإنسان ليسعى بقدر جهده وفكره أن يحقق أحلامه اللامحدودة ويزيده عملاً لأجل ذلك محدودية الموارد والتي قد تقوده للصراع مع غيره إن فقدها.

[13] انظر تفسير الطبري وأبي حيان ونقلاه عن ابن عباس والحسن البصري وقتادة وغيرهم.

فمن سعى لهذه الدار الفانية وكرّس جهده في تحصيله، وكفر بموعود الله والدار الباقية، فإن الله يعطيه على قدر سعيه، وقد لا يعطيه زجرًا له وتأديبًا.

" زيادة المرء في دنياه نقصان * وربحه غير محض الخير خسران"**

الموضع السادس: ((فلاختلاف نظرة المسلم للدنيا مع نظرة الكافر، استحالت التسوية بينهما، فمن ينظر للدنيا على أنّها الفرصة الوحيدة والغاية الكبرى، ليس كمن ينظر لها على أنها رحلة مؤقتة نحو الخلود الدائم السرمدي!)).

***التعليق:**

المسلم يعيش مع نصوص الوحي، ومنه يستمد تصوره عن الحياة وعن الغيب، وهي التي توجه سيره في الحياة الدنيا.

يرشد الله عباده المؤمنين إلى حقيقة هذه الحياة الدنيا وأنها فانية وزائلة فيقول تعالى: **((كل من عليها فان*ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام))**، ويقول: **((كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه)).**

وحقيقة زوال الدنيا، وقصر العمر والأجل فيها، يشترك في إدراكها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، ولكن هذا الإدراك يكون أقوى لدى المؤمنين بالله، بحكم إيمانهم بالغيب والدار الآخرة.

ينظر المؤمن لهذه الحياة الدنيا أنها ممرٌ للآخرة، وأنها ليست الحياة الحقيقية له، بل هي رحلة اختبار.

وفي ذلك تتردد الوصية النبوية الخالدة لعبدالله بن عمر رضي الله عنه: **((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))**[14].

"ولم تُخلق لتعمرها ولكن * لتعبرها فَجِدّ لما خلقتا"**

وفي ذلك لا يُفرط المؤمن في أخذ نصيبه الدنيوي، لأنه يعلم أن العمران الحقيقي إنما يكون في الأرض الباقية، لا في أرضٍ زائلة، وكذلك أن الدنيا على سرعة زوالها مزرعةٌ للآخرة كما قدّمنا ذلك.

فهو لا يطغى كطغيان قارون الذي قال عن مال الله الذي أوتيه: **((إنما أوتيته على علمٍ عندي))**، وإنما يقول مثل ما قال أولئك القوم المطمئنون: **((وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين))**[15].

والشق الأهم من الزهد في الدنيا وهو المكمل له **(الإيمان باليوم الآخر).**

---

[14] رواه البخاري
[15] سورة القصص آية 77

إن الكافر بالله قد يكون زاهدًا متقشفًا صبورًا على نوائب الدهر ومصائبه، ولكن هل يبعث ذلك في نفسه طمأنينة كاملة مثل المؤمن؟

إنه قد يصبر دهرًا طويلاً ويموت على ذلك، ولكن تعاسةً خفية تكتنف قلبه وتغطيه، كيف لا وهو يعتقد أن هذه الحياة الدنيا هي حياته الوحيدة ولا مرد بعدها.

تصوّر نفسك مكان الكافر بالله –عياذاً بالله– للحظةٍ واحدة، وفكّر كيف ستؤول حياتك وأنت تعتقد أن هذه هي الحياة الوحيدة؟

نعم قد تموت بعد عمرٍ طويل أمضيته في اللعب واللهو والرفاهية، ولكن ماذا لو كنت فقيرًا معدمًا؟ أو كنت معاقًا مشلولاً؟ أو مريضًا عاجزًا؟

إن كفر الكافرين بالله واليوم الآخر والقدر، ينعكس سلبًا على حياتهم، ويختلف ذلك بحسب درجة كفرهم وتكذيبهم.

فهو إن كفر بالله، فقد استغنى عن الالتجاء إلى القوي العزيز وقت الشدائد والمحن، وهو قد فرّط في شكر الله على نعمه، وبذلك يربط وجود رزقه ونعمته بوجود أسبابها المادية فقط، لا بفضل الله وَكرمه ورحمته.

وإن كفر باليوم الآخر، فإنه يفقد الغاية العظمى من حياته، لأنه لو عاش حياته الناقصة هذه فقط، فلن تكفيه لأحلامه وطموحاته، والعمر قصير، والآفات تحيط به من كل جانب.

وإن كفر بالقدر خيره وشره، فإما أنه سيؤمن بالجبر، وأنه مُجبرٌ على جميع أفعاله، وبالتالي فإنه سيلقي المؤنة، ويصير انهزاميًا ضعيفًا. أو ينسب شر أفعاله وأقواله إلى الله تعالى لينفي عن نفسه نسبة الخطأ والمعصية.

أو يتسخط باستمرار على المصائب التي تنزل عليه، فتتدمر نفسيته وتتشوه أكثر وأكثر.

ولا يعصمه من كل تلك الآفات إلا الإيمان الصادق بالله.

الموضع السابع: ((قد يقول قائل: إن هؤلاء الكفّار، قد أقاموا بعض تعاليم الإسلام وقيمه العليا، كالعدل، والحرية، والعمل، لذلك نقول إنّهم طبقوا الإسلام من غير أن يسلموا)).

***التعليق:**

لا يبعد أن يحقق بعض الكافرين بعض المقاصد والغايات الحسنة التي دعا إليها الإسلام مثل العدل والإحسان، ومساعدة الناس وغيرها.

والواقع المُشاهد أن نسبةً لا يُستهان بها من الكفار قد حققوا مقاصد حسنةً وعظيمة كالتعاون وتيسير المعيشة، ونقول ذلك حتى ننصفهم ولا نغمط حقهم، بيد أنه لا يجوز لنا نعت عملهم بالإسلام وهم لم يؤمنوا به أصلاً!

وكل ذلك العمل والجهد يتبدد في الآخرة ما لم يصاحبه إيمانٌ بالله[16]، وإن ظن ظانٌ أن هذه الأعمال الخيّرة ستنجيه من عذاب الله (وحدها من غير إيمان) فهو مخطئ وضالٌ قطعًا.

وقد قال الله تعالى: **((أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين))**[سورة التوبة].

فتأمل دلالة هذه الآية التي نزلت في مشركين ظنّوا أن أعمالهم الخيّرة والطيبة تغنيهم عن إيمانهم بالله، وتجعلهم أفضل من غيرهم.

وغاية خلق الإنسان هي عبادة الرحمن، استنادًا على نص القرآن **((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون))**[17].

والحد الأدنى من إيمان الشخص بالله يعصمه من الخلود في النار (بإذن الله).

وإن كان الحد الأدنى من الإيمان لا يعصم من دخول النار –عياذًا بالله–.

ففي الحديث النبوي الصحيح: **((يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودُّوا، فيُلقون في نهر الحيا أو الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية))**[18].

لكن الله رغّب المؤمنين في المنازل العالية من جنته، وحذّرهم من النار وجحيمها مرارًا.

إذن فالمؤمنون الصادقون المتبعون لكلام الله يخشون عذاب الله وجحيمه، ويستعيذون بالله منه، وصفتهم في كتاب الله هي ما حكاه الله عنهم: **((والذين يقولون ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا))**[الفرقان].

وما الفوز العظيم حقيقةً إلا الابتعاد عن النار ودخول الجنة **((كل نفسٍ ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأُدخِل الجنة فقد فاز))**[آل عمران].

وحتى لا أستطرد بعيدًا، أعود فأقول إن المسلم مهما اجترح واقترف من الكبائر، فإن ذلك لن يخلّده في النار بإذن الله، لأنه ضمن الحد الأدنى من النجاح في الاختبار، والاختبار درجات متعددة، فمنها أعلى الدرجات وأقصاها، ومنها أسفل الدرجات وأدناها منزلة.

والكافر بالله مهما أحسن وأصلح في حياته الدنيا، فإن ذلك لن ينفعه في الآخرة، لأنه ببساطة لم يستعد للاختبار، وإنما انشغل عنه بأمور أخرى (حتى وإن كانت حسنة). وبذلك رسب في الاختبار.

---

[16] وقد قال الله تعالى في سورة الفرقان عن الكافرين المكذبين بلقاء الله: **((وقدمنا إل ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا))**.

[17] يقول الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله: **((إن العلماء يجمعون على أن الوظيفة الوحيدة للإنسان في الكون هي عبادة الله، فكل حظوظه الدنيوية إنما هي منجزة بالتبع مع أصل العبادة، وإنما أتيح من حظه ما يعينه على وظيفته الأساس وأصل ذلك ومستنده قوله تعالى: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون))** اهـ [بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق صفحة 109]

[18] رواه البخاري

وقد نفى الله سبحانه المساواة بين المؤمنين والكافرين في مآلهم في مواضع متعددة من كتابه الكريم. فقال سبحانه: ((**أفنجعل المسلمين كالمجرمين*ما لكم كيف تحكمون**))، وقال تعالى: ((**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**))، وقال سبحانه: ((**أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون**)).

الموضع الثامن: ((ثم إن هؤلاء الكفرة أقاموا بعض تعاليم الإسلام ليس على الأصل (وهو توحيد الله) بل على أهوائهم وآرائهم، لذلك فهم قد أقاموا بنياناً ناقصاً متهافتاً، فهم يطبقون بعض تعاليم الإسلام بجزءٍ كبير من التحريف!
مثلاً: الحرية عندهم البس ما تشاء، واعتقد ما تشاء، وتكلّم بما تشاء، وحدود حريّتك تتوقف عند حرية الآخرين.
وطبعاً فالله عز وجل عندهم ليس ممّن تتوقف حريتك عند حدودهم، لذلك فلك حق الكفر به والاستهانة بشرعه، وترك أوامره، والوقوع في نواهيه))

***التعليق:**

مفهوم الحرية هو من المفاهيم التي يكثر تخبط الناس فيها، بسبب قلة علمهم وفكرهم، أو اتباعهم لأهوائهم.

وليس المقصد هنا توضيح حقيقة الحرية في الإسلام ومقارنته بغيره، فهذا مبحث ناقشه غير واحد من العلماء.

ولكن سأضرب مثالاً للتخبط الشنيع في مبحث الحرية، والذي يقع فيه بعض المنتسبين إلى الإسلام للأسف!

يقرر بعضهم أن من الحرية الفكرية السماح للتصورات الخاطئة عن الإسلام بالانتشار والتي ينتجها الملحدون والكافرون وغيرهم.

ولمزيدٍ من الدقة، نقول: (السماح بانتشار كتب الإلحاد والوسائل الداعية له) وذلك تحت إطار الحرية الفكرية، وأن منعها هو قمع للفكر والرأي.

وللرد عليهم نقول: هل كل رأي يقوله الإنسان ويتصوره يكون من حقه أن ينشره ويذيعه بين الناس بلا قيود أو ضوابط؟

إن قلنا نعم، فبذلك سنجيز نشر كثير من الآراء المنحرفة والظالمة والتي تدعو للقتل والظلم، وفيها تزوير للحقائق العلمية، وافتراء على الناس، وشهادة زور وبهتان ...وما إلى ذلك.

وإن قلنا لا، فبذلك أقررنا بضرورة وضع ضوابط وقيود لما سينشره المرء، وذلك بألا يكون فيه تجنٍ وإساءة على الآخرين، وألا يكون فيه تزوير للحقائق، أو كذب وافتراء...

هل الإسلام حقيقة مطلقة؟

نعم هو كذلك، حيث دلت عليه الدلائل اليقينية، فهذا القرآن المعجز بلفظه ومعناه، وهو المعجزة الخالدة التي تشهد بصدق النبوة، وأنه كلام الله.

ما هو الإلحاد؟

هو إنكار وجود الله وإنكار الغيب، وبالتالي إبطال العبادة له.

إذن هو طعن في حقيقة مطلقة وقطعية..

فبالتالي حُقّ لنا أن نمنع نشر الإلحاد في المجتمعات المسلمة، لأنه إنكار للحقائق وتشويه لها.

فإن قيل: **(الفِكر يُواجه بالفكر)**[19]، قلنا لا يمنع أن يرافق الكتب التي ترد على الإلحاد وتنقضه، منعٌ لانتشار فكر الإلحاد وكتبها، وليس هذا خوفًا منه، ولكن إبطالاً لتلك الأوهام الكاذبة التي يشغب بها المغرضون على الحقائق.

ولا يُسلّم للقائل أن المنع يؤدي لشهرة الكتاب وانتشاره، إذ أن كثيرًا من الكتب الممنوعة ظلت مغمورة مجهولةً لكثير من الناس بعد منعها.

وعندما تصل المسألة إلى تزوير الحقائق وتشويهها، فإن مثل هذه التصورات يجب أن تُمنع وإلا...

وإلا فإنه يجب علينا أن نسمح لمن يدّعي المهارة في الطب أن ينشره آراءه فيها حتى ولو كان جاهلاً بعلم الطب.

ونسمح لفلان من الناس أن يتكلم في التاريخ والأنساب وينشر فكره فيها، حتى وإن خالف الحق، وحاول أن يزوره.

فتختلط آراء الناس وأهواؤهم بالحقائق، وبذلك تفسد حياة الخلائق.

إذا كنا نمنع نشر التصورات والأفكار التي تفسد حياة الناس وعقولهم، فما بالنا نسمح بنشر فكر يدمر عقل الإنسان، ويدمر آخرته ويقوده إلى الهلاك؟

إن من أكثر الحقائق تغييبًا في واقعنا هي حقيقة الإسلام وذلك إما بسبب تقصيرنا في الدعوة إليه، أو كيد الماكرين الظالمين في إخفاء نور الله وهداه.

والتقصير في الدعوة إلى الله، ناتجٌ من ضعف الإيمان بالله وكذلك ضعف الثقة بالنفس، أو عرض الإسلام كما تُعرض البضائع في سوق الأفكار والمذاهب، أو ترك شبهات أهل الباطل وأهوائهم تروج وتنتشر بلا دحضها وإبطالها.

---

[19] هذا إن سلّمنا جدلاً بأن الإلحاد فكرٌ ورأي له اعتبار من الصحة، وإلا فهو لا يعدو كونه مذهبًا خرافيًا مليئًا بالأكاذيب والمغالطات.

أما أهل الباطل فيكيدون للحق لأنه يخالف أهواءهم ورغباتهم الفاسدة، ولو كان الحق موافقًا لما يريدونه فإنهم أول الناس اتباعًا له، كما قال الله عنهم: ((**وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريقٌ منهم معرضون* وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**)).

ويرد الله تعالى عليهم بقوله: ((**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**)).

الموضع الأخير: ((وفي الوقت الذي كان فيه الصحابة في أشد الخوف من هجوم المشركين عليهم في المدينة[20]، كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشرهم بالنصر والتمكين، ويبشرهم بفتح البلاد، فتيقنوا ذلك، ولم يهزأ سوى المنافقون الذين لم ينظروا أبعد من أنفهم!!)).

***التعليق:**

أين أسماء المنافقين الذين سخروا من الوعد النبوي المبارك؟ لقد ذهبوا ولم يسجل التاريخ أسماءهم وإنما سجل مقالاتهم، والتي صارت درسًا واضحًا فاضحًا لكل من سخر بموعود الله ونبيه صلى الله عليه وسلم.

وخلال أقل من عشرين سنة توسعت جيوش المسلمين فاتحةً الأمصار المختلفة من العراق وفارس، وبلاد الشام ومصر.

ولم تمض تسعون سنة حتى كانت راية الإسلام تخفق في إسبانيا، غربًا، وتقترب من حدود الصين شرقًا، وتقارب تركيا شمالاً.

"وعمّا قليلٍ طبّق الأرض حكمهم * بأسرع من رفع اليدين إلى الفمِ"**

قال الله تعالى: ((**فاصبر إن وعد الله حقٌ ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**)).

وإلى هنا ينتهي التعقيب والتعليق على البحث المتين..

أسأل الله أن يجعله حجةً لنا لا علينا، وأن يستعملنا في نصرة دينه ورفع راية شريعته.

والحمد لله رب العالمين .

البراء محمد

صبيحة السبت 1435/9/28هـ-2014/7/26م

---

[20] وذلك في غزوة الأحزاب سنة 5هـ،